اي باسرها ومن فيها **والارض** كذلك وقوله تعالى **ليقولن الله** اي المسمى بهذا الاسم حذف منه نون الرفع لتوالي الامثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين فقد اقروا بان كل ما اشركوا به بعض خلقه ومصنوع من مصنوعاته ولما تبين بذلك صدقه صلى الله عليه وسلم وكذبهم قال الله تعالى مستانفا **قل الحمد** اي الاحاطة بجميع اوصاف الكمال **لله** اي الذي له الاحاطة الشاملة من غير تقييد بخلق الخافقين ولا غيره على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد **بل اكثرهم لا يعلمون** اي ليس لهم علم يمنعهم من تكذيبك مع اعترافهم بما يوجب تصديقك ولما اثبت لنفسه سبحانه الاحاطة باوصاف الكمال استدل على ذلك بقوله تعالى **لله** اي الملك الاعظم **ما في السموات** كلها **والارض** كذلك ملكا وخلقا فلا يستحق العبادة فيهما غيره ولما ثبت ذلك انتج قطعا قوله تعالى **ان الله** اي الذي لا كفو له **هو** اي وحده **الغني** مطلقا لان جميع الاشيا له ومحتاجة اليه وليس محتاجا الى شي اصلا **الحميد** اي المستحق لجميع المحامد لانه المنعم على الاطلاق او المحمود بكل لسان من السنة الاحوال والاقوال لانه هو الذي انطقها ومن بيده الخرس اطلقها ولما قال تعالى لله ما في السموات وما في الارض اوهم تناهي ملكه لانحصار ما في السموات والارض فيهما وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين تعالى انه لا حد ولا ضبط لمعلوماته ومقدوراته الموجبة لحمده بقوله تعالى **ولو ان ما في الارض** اي كلها ودل على الاستغراق وتقصي كل فرد فرد من الجنس بقوله تعالى **من شجرة** حيث وحدها **اقلام** اي والشجرة بمدها من بعدها على سبيل المبالغة سبع شجرات وان ما في الارض من البحر مداد لتلك الاقلام **والبحر** اي والحال ان البحر **يمده** او يكون مدادا له وزيادة فيه **من بعده** اي من ورائه **سبعة ابحر** تكتب بتلك الاقلام وذلك المداد الذي الارض كلها له دواة **ما نفدت كلمات الله** وفنيت الاقلام والمداد قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى ويسئلونك عن الروح الاية فلما هاجر صلى الله عليه وسلم اتاه احبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك فقال صلى الله عليه وسلم كلا قد عنيت فقالوا الست تتلوا فيما جاءك انا اوتينا التوراة وفيها علم كل شي فقال صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد اتاكم ما ان عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله هذه الاية وقال قتادة ان المشركين قالوا ان القران وما ياتي به محمد يوشك ان ينفد فينقطع فنزلت فان قيل كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام والبحر مداد اجيب بانه اغنى عن ذكر المداد قوله تعالى يمده لانه من مد الدواة وامدها

جعل البحر الاعظم

جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوة مدادا فهي تصب فيها مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لان المحصور لا يفي بما ليس بمحصور فيا لها من عظمة لا تتناهى ومن كبريا لا تجازى ولا تضاهى فان قيل لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس اجيب بانه اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد بريت اقلاما فان قيل الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله اجيب بان معناه ان كلماته لا تفي بها البحار فكيف بكلمه وقرا ابو عمرو والبحر بنصب الراء وذلك من وجهين احدهما العطف على اسم ان اي ولو ان البحر ويمده الخبر والثاني النصب بفعل مضمر تفسيره يمده والواو حينئذ للحال والجملة حالية ولم يحتج الى ضمير رابط بين الحال وصاحبها للاستغناء عنه بالواو والتقدير ولو ان الذي في الارض حال كون البحر ممدودا بكذا وقرا الباقون برفع الرا وذلك من وجهين ايضا احدهما العطف على ان وما في حيزها والثاني انه مبتدا ويمده الخبر والجملة حالية والرابط الواو تنبيه قوله تعالى سبعة ليس لانحصارها في سبعة وانما الاشارة في المدد والكثرة ولو بالف بحر وانما خصصت السبعة بالذكر من بين الاعداد لانها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة ويدل على ذلك وجهان الاول ان المعلوم عند كل احد لحاجته اليه هو الزمان والمكان فالزمان منحصر في سبعة ايام والمكان منحصر في سبعة اقاليم لان الكواكب السيارة سبعة والمنجمون ينسبون اليها امورا فصارت السبعة كالعدد الحاصر للمكثرات الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المومن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعا الثاني ان في السبعة معنى يخصها ولذلك كانت السموات سبعا والارض سبعا وابواب جهنم سبعا وابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة فالزيادة هي الثامن لان العرب عند الثامن يزيدون واوا يقول الفراء انها واو الزيادة وليس ذلك الا للاستيناف لان العدد تم بالسبعة ثم بين نتيجة ذلك بقوله تعالى **ان الله** اي المحيط بكل شي قدرة وعلما **عزيز** اي كامل القدرة لا نهاية لمقدوراته **حكيم** اي كامل العلم لا نهاية لمعلوماته تنبيه قد علم مما تقرر ان الاية من الاحتباك ذكر الاقلام دليلا على حذف مدادها وذكر السبعة في مبالغة الابحر دليلا على حذفها في الاشجار ولما ختم تعالى بهاتين الصفتين بعد اثبات القدرة على الابداع من غرايبها

Copyright King Saud University